

أفكار في العمل التطوعي

عبدالله أحمد البوسف

أفكار في العمل التطوعي

ح) أطباف للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
اليوسف، عبدالله أحمد
أفكار في العمل التطوعي. / عبدالله أحمد اليوسف - القطيف، ١٤٣٢هـ.
٧٥ ص: ١٤ × ٢١ سم
ردمك: ١ - ٧ - ٩٠٠٤٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١- العمل التطوعي ٢- الخدمة الاجتماعية أ. العنوان
ديوي ٠٢، ٣٦١ ١٤٣٢ / ٣٣٣٢
رقم الإيداع: ١٤٣٢ / ٣٣٣٢
ردمك: ١ - ٧ - ٩٠٠٤٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا يُحِبُّونَ
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

سورة آل عمران، الآية: ٩٢

المقدمة

للعمل التطوعي أثر كبير في تنمية وتطوير وتقديم المجتمع، إذ أنه يساهم في خلق الأجواء الإيجابية والمحفزة عند أفراد المجتمع للمساهمة في مختلف مجالات وميادين العمل التطوعي، وانخراط كل الشرائح الاجتماعية على اختلاف مؤهلاتها العلمية والعملية يؤدي إلى الدفع بحركة العمل التطوعي نحو الأمام، وتجاوز كل العقبات والتحديات التي تقف في وجه تفعيل المناشط التطوعية.

والعمل التطوعي يوجد الكثير من الآثار الإيجابية المهمة، ويعزز من القيم الاجتماعية والأخلاقية والإنسانية بين الطبقات الاجتماعية المختلفة كالتراحم والتماسك والتكافل الاجتماعي، وكقيم العطاء والتضحية والإيثار والبذل والكرم من أجل إسعاد الآخرين.

وكلما ازدادت مؤسسات وجمعيات العمل التطوعي

والخيرى، وتنوعت مجالاتها واهتماماتها، واستقطبت أكبر عدد من المتطوعين، كلما استطاعت أن ترتقي بالمجتمع، وتلبى احتياجاته، وتعالج نقاط الضعف فيه، وتعزز نقاط القوة التي تخلق من المجتمع مجتمعاً فاعلاً ومتقدماً ومعطاءً.

والمجتمع الفاعل والتماسك والمتعاون ينشر جواً من المحبة والمودة والانسجام والتآلف بين أفراد المجتمع، كما يؤدي ذلك إلى القضاء على الظواهر الاجتماعية السلبية كظاهرة الفقر، وظاهرة البطالة، وظاهرة الطبقية، وظاهرة الحسد... إلى آخر ما هنالك من ظواهر سلبية تبرز عندما يضعف العمل التطوعي والخيري، وتختفي أو تذبل عندما يقوى العمل التطوعي، ويلبي كل احتياجات المجتمع.

والإنسان الذي هو محور التنمية البشرية، والتي هي بدورها أساس التنمية في أي مجتمع إنساني، تبرز مواهبه وطاقاته عندما يمارس العمل التطوعي، وينشط في مناشطه ومجالاته المختلفة، مما يعني أن العمل التطوعي كما يساهم في تنمية المجتمع، له دور كبير أيضاً في تنمية الإنسان المتطوع، مما ينعكس في نهاية الأمر في التنمية الاجتماعية.

والمجتمع اليوم بحاجة إلى مختلف أنواع ومجالات العمل التطوعي، فلم يعد الأمر مقتصرأ على تأسيس الجمعيات الخيرية التي تهتم بالفقراء والمساكين والأيتام بل أصبح لدينا

حاجات مهمة أخرى لا تقل عن مساعدة الفقراء والمحتاجين، فالمجتمع أحوج ما يكون إلى تنمية المجتمع في المجال العلمي والمعرفي والثقافي، وهو ما يتطلب تأسيس المراكز العلمية، وبناء المدارس والجامعات والكليات الخاصة والأهلية في مختلف التخصصات العلمية، كما أن الحاجة ماسة لتأسيس مراكز للدراسات والأبحاث في جميع الأبعاد بما يساهم في تطوير المجتمع وتنميته علمياً وثقافياً.

أما في المجال الصحي والطبي فالحاجة متزايدة للمزيد من بناء المستشفيات والمراكز الصحية الخيرية، وتوفير العلاج والأدوية مجاناً للمحتاجين، والقيام بعمليات الفحص الطبي المبكر عن الأمراض من قبل المتطوعين، ونشر الوعي الطبي بين الناس للوقاية من الأمراض الفتاكة والمزمنة.

كما أن إنشاء وبناء المشاريع الاقتصادية غير الربحية، واستثمار عوائدها في تنمية المجتمع وتطويره، هو من العوامل المهمة في تفعيل الدورة الاقتصادية، وتنشيط عجلة الاقتصاد، وتحريك النمو الاقتصادي بما يعود على المجتمع بالكثير من الفوائد، ويدعم أنشطة العمل التطوعي في مختلف الاتجاهات والأبعاد.

ومن هنا، يجب تطوير العمل التطوعي من خلال الاهتمام بكل مجالات الأعمال التطوعية، فالمجتمع لديه حاجات

جديدة، وفيه ثغرات تحتاج لمبادرات اجتماعية شجاعة ومدروسة بحيث تغطي كل المساحات في البنية المجتمعية، بما يكفل لها التكامل، وخلق منظومة تطوعية متطورة وفاعلة تسهم في وصول المجتمع إلى أعلى مراتب التقدم والتحضر المدني.

وختاماً... أبتهل إلى الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب في ميزان أعماله، وإن ينفعني به في آخرتي، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ٨٨ [سورة الشعراء: الآيتان ٨٨ و ٨٩]؛ إنه - تبارك وتعالى - محط الرجاء، وغاية الأمل، وينبوع الرحمة والفيض والعطاء.

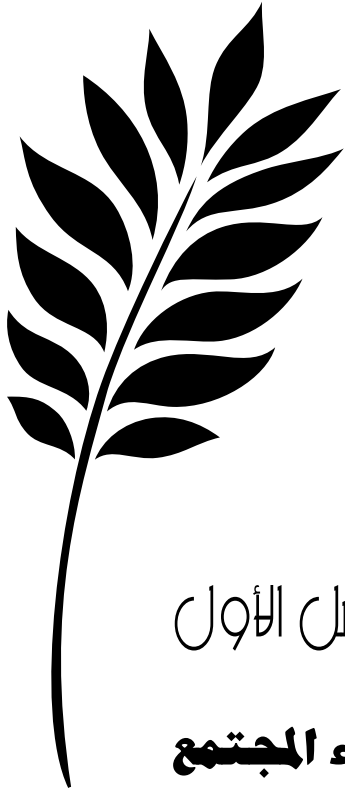
والله المستعان

عبد الله أحمد اليوسف

الحلة - القطيف

الخميس ١٥ صفر ١٤٣٢ هـ

٢٠ يناير ٢٠١١ م



الفصل الأول

العمل التطوعي وإنماء المجتمع

سمات المجتمع الفاعل

تتفاوت المجتمعات الإنسانية في قوتها وضعفها، ففي حين نرى أن بعض المجتمعات قوية و متماسكة و متقدمة و فاعلة؛ نجد في المقابل مجتمعات أخرى تعاني من الضعف و التمزق و التأخر و التخلف.

ويعود ذلك إلى أسباب و عوامل مختلفة، قد تختلف من مجتمع إلى آخر، ولكن في الجملة توجد عوامل و ركائز و مقومات مشتركة تساهم في عملية البناء الاجتماعي، و تقدم المجتمع، و في المقابل توجد عوامل و أسباب أخرى تؤدي إلى تأخر المجتمع، و انعدام التقدم و التحضر لديه.

وإذا ما أردنا الحديث عن سمات المجتمع الفاعل و القوي و المتقدم، فيمكن الإشارة إلى عدد من هذه السمات الرئيسية ضمن النقاط التالية:

١- التعاون بين الناس:

التعاون بين الناس في البر والخير والصلاح من المبادئ التي حثَّ عليها الإسلام، يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١) كما يشير الرسول الأعظم ﷺ إلى أن التعاون يؤدي إلى الخير، وانعدامه سبيل للشر، إذ روي عنه أنه قال: «لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعنا عنهم البركات، وسلطنا بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء»^(٢)، وعنه ﷺ أيضاً: «إن معاونة المسلم خير وأعظم أجراً من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام»^(٣).

فالتعاون في مجال الخير والصلاح وكل ما فيه منافع عامة بخدم المجتمع، ويساهم في تقويته وفاعليته وحيويته، أما التعاون على الإثم والعدوان فهو يؤدي إلى خراب وفساد المجتمع، ويساهم في تأخره وتخلفه عن ركب الحضرة والتقدم. ولذلك نهانا الله تعالى عن هذا النوع من التعاون، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

(١) سورة المائدة: الآية ٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ٩٤، رقم ٩٥.

(٣) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٢١٧.

٢- تنمية العمل التطوعي:

ومن سمات المجتمع الفاعل والقوي نمو حركة العمل التطوعي في المجتمع، فالأعمال التطوعية عامل رئيس من عوامل بناء المجتمع القوي والمتقدم، ولا يمكن أن يتقدم المجتمع بصورة حقيقية في ظل غياب ثقافة وروح العمل التطوعي من الفضاء الاجتماعي.

ولو ألقينا نظرة فاحصة على المجتمعات المتقدمة في عالمنا المعاصر لوجدنا أن من أسباب قوة تلك المجتمعات وتقدمها هو شياع وانتشار الأعمال التطوعية بما بخدم تقدم المجتمع وتطوره.

وكأمثلة على ذلك: أعلن الملياردير الأمريكي (بيل غيتس) رئيس مجلس إدارة (مايكروسوفت) العالمية وأحد مؤسسيها، عن تبرعه بمبلغ ثمان وعشرين بليون دولار من ثروته لأعمال الخير، أي ما يقارب نصف ثروته!^(١).

كما أوصت حلقة أمريكية بـ ٣٥ مليون دولار لمصلحة إجراء بحوث طبية، إذ ذكرت صحيفة الحياة أن حلقة أمريكية واسمها (أوجينيا بودسون) توقيت في نهاية ٢٠٠٥م عن مائة

(١) صحيفة الشرق الأوسط، الأربعاء ٨ شوال ١٤٢٦هـ ٩ نوفمبر ٢٠٠٥م، العدد ٩٨٤٣.

سنة بثروة تبلغ قيمتها ٣٥ مليون دولار لمصلحة جامعة ميامي في سبيل إجراء بحوث طبية.

وقد عاشت حياتها كلها في شكل متواضع جداً لتتمكن من تحقيق أهدافها الخيرية.

وسيمنح ثلثا الـ ٣٥ مليون دولار إلى مركز بحوث حول مرض السكري، والثلث الأخير إلى مركز بحوث حول السرطان، والمركزان تابعان لجامعة فلوريدا^(١).

كما أن مؤسس شبكة CNN الأمريكية واسمه (تيد تورنر) تبرع بثلاث ثروته إلى المنظمات الإنسانية في الأمم المتحدة، ويساوي مبلغ مليار دولار أمريكي^(٢).

والأمثلة على ذلك كثيرة، وكلها تشير إلى انتشار روح المساهمة في الأعمال التطوعية في البلاد الغربية، والتي تعد ركيزة مهمة من ركائز التقدم المجتمعي، وعماد من أعمدة قوة المجتمع وحيويته.

وإذا ما أردنا في مجتمعنا أن نتقدم ونتطور فلا بد من إنماء ثقافة العمل التطوعي، وتطوير مجالاته وأنشطته، وزيادة أعداد الناشطين في المناشط التطوعية والخيرية.

(١) صحيفة الحياة، الجمعة ٢٨ رمضان ١٤٢٧هـ - ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٦م، العدد ١٥٩٠٤، الصفحة الأخيرة.

(٢) صحيفة الحياة، بتاريخ ٢٩/٩/١٤١٩هـ.

٣- المبادرة إلى فعل الخير:

عندما تكثر في أي مجتمع روح المبادرة إلى فعل الخيرات، والإتيان بالأعمال النافعة، وتأسيس المشاريع العلمية والثقافية... يتقدم المجتمع، ويرتقي نحو سلالم المجد والكمال.

ولأهمية المبادرة في تقدم الأفراد والمجتمعات، يؤكد القرآن الكريم في آيات عديدة على أهمية المبادرة في فعل الخيرات، كقوله تعالى: ﴿وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١)، وكقوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾^(٢)، وكقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٣)، وقال الإمام علي عليه السلام: «بادروا بعمل الخير قبل أن تشتغلوا عنه بغيره»^(٤).

والتنافس على القيام بمبادرات اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية يؤدي إلى تطور المجتمع، فالمجتمع الذي تكثر فيه المبادرات ويتنافس أفرادها على فعل الخيرات، ويتسابق أهلها على تشييد المؤسسات التطوعية؛ يتصف بأنه مجتمع حي وناهض وفاعل.

ومجتمعنا أحوج ما يكون إلى تنمية روح المبادرة بين

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٨.

(٣) سورة الواقعة: الآية ١٠.

(٤) بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٢١٥.

أفراده من جهة، ومؤسساته من جهة أخرى؛ إذا ما أردنا أن يكون مجتمعنا مجتمعاً قوياً وفاعلاً ومتقدماً.

أما المجتمع الذي يكثر فيه الكلام، ويقل فيه العمل، ويتراعى أفراده إلقاء المسؤولية على بعضهم البعض، ويتحدثون عن المفروضات على الآخرين، ويتناسون القيام بواجباتهم، فهذا المجتمع سيرأح مكانه، ولن يتقدم خطوة نحو الأمام؛ بل سيعيش حالة من التراجع المستمر والتقهقر نحو الوراء.

ويحذر القرآن الكريم مثل هؤلاء الناس الذين يكتفون بالكلام بدلاً عن العمل، يقول تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾﴾.

والإمام علي عليه السلام أيضاً يوبخ أصحابه الذين يكثرون الكلام في المجالس، ولكنهم حين العمل يقدمون الأعذار لعدم القيام بواجباتهم، يقول عليه السلام: «كلامكم يوهي الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء، تقولون في المجالس: كَيْتَ وَكَيْتَ، فإذا جاء القتال قلتُم: حَيْدِي حَيْادِ»^(٢).

وهذه آفة الكثير من المجتمعات المتخلفة، حيث يكثر

(١) سورة الصف: الآيتان ٢ - ٣.

(٢) نهج البلاغة، ص ١٢٨، رقم الخطبة ٢٩.

الكلام عن المشاكل والنواقص والثغرات، ولكنهم لا يعملون شيئاً لتجاوز ذلك.

ومن أجل تجاوز تلك الحالة، علينا أن نمي صفة المبادرة في مجتمعنا، بل وأن يبادر كل واحد منا في تأسيس مشروع خيري، أو تشييد عمل ثقافي مميز، أو بناء مشاريع صحية، أو المساهمة في حل المشكلات الاجتماعية، أو جعل أوقاف جديدة تخدم الحاجات الجديدة للمجتمع... وغير ذلك كثير.

وبذلك نستطيع أن نساهم في عملية البناء الاجتماعي، والتقدم بالمجتمع خطوات نحو الرقي والازدهار والكمال.

٥- تعزيز مؤسسات المجتمع المدني:

والمقصود بمؤسسات المجتمع المدني هي المؤسسات التي تنبثق من رحم المجتمع، وتكون مستقلة عن الدولة، ولكنها مكتملة لأنشطتها، وبمعنى آخر: إنها مؤسسات ذاتية التأسيس وشعبية الاشتغال، وتعمل في خدمة الصالح العام، وتقدم خدمات عامة لصالح المجتمع.

وتتنوع مجالات وأنشطة مؤسسات المجتمع المدني، ومن هذه المجالات: الاهتمام بالفقراء والمحتاجين، رعاية وحماية الطفولة، الاهتمام بقضايا جيل الشباب، حل مشكلات المرأة، الدفاع عن حقوق الإنسان، نشر الوعي الصحي، حماية

البيئة، تنمية الوعي الثقافي... وغير ذلك كثير. وكلها تستهدف النهوض بالمجتمع، وتقوية بنائه الداخلي.

وتشجع انتشار مؤسسات المجتمع المدني على تزايد المبادرات الاجتماعية، كما أنها تركز على التطوع في أعمالها دون أن يكون هدفها التجارة أو الربح المادي، وتشمل مختلف الجوانب من اقتصاد واجتماع وثقافة وبيئة ودين... وغير ذلك.

وتكثر في المجتمعات المتقدمة مؤسسات المجتمع المدني، كما لها فاعلية كبيرة في النهوض بالمجتمع وتقويته. أما في مجتمعاتنا العربية والإسلامية فهي بالكاد ترى لها وجوداً حقيقياً أو فاعلاً أو مؤثراً.

ومن هنا لابد من تعزيز دور مؤسسات المجتمع المدني كخطوة لابد منها في عصر العولمة للنهوض بالمجتمع، وتنمية قدراته، واستثمار ما لدى أفراد من إمكانات ومهارات ومواهب يمكن صقلها وتجميعها لتصب بعد ذلك في بناء المجتمع بناءً قوياً.

وبهذه الأسس التي ذكرناها يمكن أن نؤسس لبناء مجتمع فاعل وقوي و متماسك، وهي صفات رئيسة من صفات أي مجتمع قوي و فاعل و ناهض.

تعاظم دور المؤسسات التطوعية

تزخر المجتمعات المتقدمة بآلاف المؤسسات والجمعيات التطوعية والخيرية، ولا يكاد يخلو أي مجال من مجالات الحياة المختلفة من عشرات الجمعيات والمؤسسات التطوعية التي تخدم في مجالها، وتُسهّم في بناء التقدم والتطور الاجتماعي والثقافي والسياسي والإنساني والبيئي... وغيرها.

وتساعد الأنظمة والقوانين المتبعة في البلدان الغربية، والتي تُسهّم بدعم نشاط المؤسسات الأهلية وتسهيل عملها في نمو المؤسسات التطوعية الأهلية، واتساع مجالاتها وأهدافها الخيرية، وتحقيق إنجازات مهمة في دفع عجلة التقدم في مختلف الميادين والصعد.

والأمثلة على ذلك كثيرة، فقد «تم إنشاء مؤسسة كارنيجي بنيويورك عام ١٩١١م بوقف يساوي ١٣٦ مليون دولار لدعم المكتبات العلمية، وتوفير نظم التقاعد لأساتذة الجامعات.

وقامت مؤسسة روكفلر الخيرية بتمويل الأبحاث الطبية لتطوير اللقاح ضد الأمراض المستعصية آنذاك، بالإضافة إلى البحوث الزراعية التي رفعت من مردود زراعة القمح والأرز.

كما تأسست مؤسسة فورد سنة ١٩٣٦م برأسمال يفوق ١١ مليار دولار لمعالجة مسائل عالمية معقدة مثل إيجاد الحلول للصرعات الإقليمية ودعم الديمقراطية وحقوق الإنسان.

وخصص رئيس مايكروسوفت (بيل جيتس) أكثر من ٢٥ مليار دولار لإنشاء مؤسسة للعمل الخيري.

ويبلغ عدد الجمعيات الخيرية في الولايات المتحدة الأمريكية (١,٥١٤,٠٠٠) جمعية، وفي ألمانيا: (٨٠٠,٠٠٠) جمعية، وفي فرنسا: (٦٠٠,٠٠٠) جمعية، وفي بريطانيا: (٣٥٠,٠٠٠) جمعية، ويوجد في إسرائيل أكثر من ٣٥ ألف منظمة غير ربحية.

ومن المؤسسات الأهلية التي تلفت النظر وتشدّ الانتباه، تلك المؤسسات التي تُعنى بنشر القيم والتبشير بالتوجهات الأخلاقية في المجتمعات الغربية، ومن نماذجها الحركة التي انطلقت في باريس سنة ١٩٩٣م للمحافظة على العفة، تحت عنوان (الحب الحقيقي يستطيع الانتظار) وقد ضمت حوالي ٦٠٠ عضو من الشباب والشابات الذين تتراوح أعمارهم ما بين

١٧ و ٢٥ سنة، يلتزمون كتابةً بالمحافظة على عفافهم وطهارتهم، أي عدم ممارسة علاقة غير شرعية. هذه الحركة الفرنسية نشأت تحت إشراف جمعية تدعو إلى العودة إلى القيم العائلية.

وسبقتها حركة مماثلة في الولايات المتحدة الأمريكية بها حوالي ٢٥٠ ألف شاب وشابة يجمعهم هدف واحد هو المحافظة على العفة.

وذكر تقرير عن حركة التطوع في أعمال المساعدة المدنية والأهلية في المجتمع الياباني أنه أحصى في سنة ١٩٩٩ م سبعة ملايين متطوع اجتمعوا في نحو مئة وعشرين ألف رابطة وجمعية يفوق عدد متطوعاتها عدد المتطوعين المذكور^(١).

ونتيجة لتزايد حاجات الناس، والضغط على الخدمات العامة، واختلاف طبيعة الحياة ومتطلباتها عن الماضي، أصبح تشجيع ودعم الأنشطة التطوعية الأهلية أكثر من ضروري إذا ما أردنا دفع مسيرة التنمية والرفاه الاجتماعي نحو الأمام، وتلبية احتياجات الناس، والقضاء على الفقر والعوز والحرمان.

وتعاليم الإسلام وتوصياته تؤكد على أهمية وضرورة المشاركة الفعالة في تلبية حاجات الفقراء والمحتاجين، وبناء

(١) المؤسسات الأهلية وحماية الأمن الاجتماعي، حسن الصفار، دار أطيف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ١٢-١٤.

المؤسسات التطوعية، وتدويل الثروات بين الناس، والتعاون على البر والتقوى، وهذا ما يجب أن نقوم به امتثالاً لتوجيهات الدين وأوامره.

الرعاية النفسية للشريحة الفقيرة

إن الرعاية النفسية والعاطفية والسلوكية للأيتام والفقراء والمساكين لا يقل أهمية عن الرعاية المادية إن لم يكن أهم، بيد أن هذه الشريحة الاجتماعية كما تحتاج لتوفير حاجاتها المادية من مأكّل ومشرب وملس ومسكن، تحتاج أيضاً إلى توفير حاجاتها المعنوية من احترام وتقدير اجتماعي، ومراعاة لمشاعر ونفسية اليتيم والمحتاج.

والملاحظ في مجتمعاتنا أنه يُهتَم كثيراً بتوفير الحاجات المادية؛ في حين يغفل عن الاهتمام بتوفير الحاجات المعنوية والنفسية، بينما نجد أن القرآن الكريم يُشير إلى أهمية الاهتمام بمختلف الجوانب، بما فيها الجانب العاطفي والنفسي لليتيم، يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾^(١) ولعل من دلالات عدم القهر الإشارة إلى الجانب النفسي وغيرها، كما يحذر القرآن

(١) سورة الضحى: الآية ٩.

الكريم من الاعتداء على أموال اليتامى، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾^(١) فالاعتداء على أموال اليتامى ولو بسوء التصرف يعد تعدياً على حقوقهم وأموالهم.

وفي الأحاديث الشريفة نرى الكثير من النصوص التي تدعو إلى العطف على اليتامى، و التعطف على الأراامل، فقد روي عن الرسول ﷺ قوله: «حيلة السرور في الآخرة أربع خصال: مسح رأس اليتامى، و التعطف على الأراامل، و السعي في حوائج المؤمنين، و تعهد الفقراء و المساكين»^(٢) و في حديث آخر يدعو النبي ﷺ أن يكون الإنسان لليتم كالأب، إذ روي عنه ﷺ قوله: «كن لليتم كالأب الرحيم، و اعلم أنك تزرع كذلك تحصد»^(٣) و لأهمية الجانب النفسي و العاطفي لليتم يقول الرسول ﷺ: «ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يтим ترحمأ له إلا كتب الله له بكل شعرة مرت يده عليها حسنة»^(٤)، و قال الرسول ﷺ لرجل يشكو قسوة قلبه: «أتحب أن يلين قلبك، و تدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، و امسح رأسه، و أطعمه من طعامك، يلين قلبك و تدرك حاجتك»^(٥) و غيرها من

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٤.

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ٢، ص ٤٧٤، رقم ٢٥٠١.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٣٧٠٨، رقم ٢٢٨٧٩.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٣٧٠٨، رقم ٢٢٨٨٠.

(٥) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٣٧٠٨، رقم ٢٢٨٨٦.

الأحاديث الشريفة التي تدعو إلى الاهتمام النفسي والعاطفي بأطفال اليتامى والمساكين والفقراء من قبيل: المسح على الرأس، والتعطف عليهم، والتعامل معهم برقة ومحبة كالأب... لأن مثل ذلك يشبع الحاجات والرغبات النفسية والعاطفية والسلوكية.

وهذا النوع من الرعاية الاجتماعية لا يلقى الاهتمام الكافي من قبل المعنيين بهذا الأمر، بل من قبل عموم الناس، وهو ما ينبغي الانتباه إليه في تأهيل أطفال اليتامى والمساكين.

المعوقون والقدرة على صناعة النجاح

قد يولد الإنسان سليماً مُعافى من كل الأمراض أو العاهات المزمنة ولكنه قد يُصاب في حياته بعاهة أو نقص أو مرض مزمن، وقد يولد الإنسان وهو مصاب بأمراض مزمنة أو عاهات معينة تفقده الحياة الطبيعية للإنسان السليم.

وقد أشارت الدراسات الحديثة إلى تزايد أعداد المعوقين في العالم العربي، إذ «كشفت مشاركون في ندوة عربية [انعقدت في الرباط بالمغرب] عن (تشريعات الإعاقة) أشرف عليها البرلمان المغربي، أن حوالي ٢٠ مليون شخص يصنفون ضمن المعوقين في الدول العربية، ٨٠ في المئة منهم يتمتعون إلى فئات اجتماعية فقيرة، وأن واحداً من كل خمسة فقراء في العالم العربي هو شخص معوق. وتحول الإعاقة دون مساهمة ملايين الأشخاص في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الدول العربية، فضلاً عن حرمان فئة المعوقين من فرص التعليم

والصحة والعمل والسكن والمشاركة الاقتصادية، بسبب ضعف التشريعات من جهة، ونظرة المجتمع إلى الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة من جهة أخرى.

وتعتبر المنطقة العربية من أكثر مناطق العالم تضرراً من ارتفاع أعداد المعوقين، لأسباب طبيعية وأخرى غير طبيعية مثل الحروب والعنف والكوارث. وتزيد الأوضاع غير المستقرة في بعض الدول العربية في عمق المعاناة، كما تضر بالاقتصاد المحلي، إذ أن ٩٠ في المئة من المعوقين لا يمارسون أي عمل. وتؤثر الإعاقة في مصادر الدخل وفي حياة الأسر. ولا تشمل التغطية الاجتماعية الشاملة سوى نسبة ٢ في المئة من إجمالي المعوقين، مع اختلاف درجة الاهتمام والإحصاء من بلد عربي إلى آخر.

ودعا المشاركون في الندوة إلى تغيير نمط التعامل مع إشكالية الإعاقة، من مجرد العمل الخيري، إلى تفعيل دور الحكومات واهتمامها بمعالجة أوضاع المعوقين الذين يمثلون ١٠ في المئة من مجموع سكان العالم. ويشمل الاهتمام المطلوب إدماج الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة في النسيج الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي عبر صيغ التأهيل وإعادة التأهيل، وكذلك اعتماد حقوق المعوقين ضمن حقوق الإنسان الكونية، وإنشاء هيئة عربية تهتم بشؤونهم.

وبحسب دراسات قدمت في الندوة، تؤدي الإعاقة غالباً إلى الفقر والانزواء، وتحد من فرص المشاركة والإفادة من فرص التنمية، في غياب أنظمة حماية متطورة. إذ يواجه المعوق مصيره بمفرده أو بالاعتماد على أسرته. أما في الدول العربية المتوسطة الدخل، فيواجه المعوق صعوبات أكبر منها في الدول الغنية القليلة السكان^(١).

وأكد تقرير صادر عن وزارة الصحة حول هذا الموضوع أن عدد المواليد الذين يولدون بالمملكة سنوياً يتراوح بين ٤٠٠ و٥٠٠ ألف مولود سنوياً منهم ما بين ٤٠٠ و٥٠٠ مولود يعانون من الإصابة بالإعاقة وهو رقم كبير جداً مقارنة بعدد السكان، مشيراً إلى أن تكلفة علاج هؤلاء الأطفال تصل إلى ٥٠ مليون ريال سنوياً إذ تصل تكلفة علاج ورعاية كل طفل معاق إلى أكثر من ١٠٠ ألف ريال سنوياً تقريباً.

وبين التقرير أن هؤلاء الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة قد تمتد بهم الحياة بإذن الله حوالي ٢٠ سنة بناء على الإحصائية الغربية، وفي هذه الحالة فإن ما قد تنفقه الدولة على علاج ٥٠٠ طفل معاق يزيد عن مليار ريال خلال تلك الفترة؛ علاوة على ما تسببه الإعاقة من معاناة إنسانية نفسية واجتماعية

(١) صحيفة الحياة، الأحد ٢٣ جمادى الآخرة ١٤٢٨ هـ الموافق ٨ تموز ٢٠٠٧ م، العدد ١٦١٦٥.

على عائلات الأطفال وعلى كافة طبقات المجتمع، ويحرم المجتمع السعودي من الاستفادة من عدد كبير من شباب المستقبل والذين يعدون العمود الفقري لمسيرة التنمية والبناء.

إن العدد الإجمالي للمعوقين في المملكة العربية السعودية يفوق المليون ونصف المليون معوق، أي ما يمثل أكثر من ١٠٪ من عدد السكان وذلك وفقاً للتصنيفات العالمية.

وأوضح أن نتائج البحوث بينت أن الإعاقة الجسدية تمثل حوالي ثلث مجموع الإعاقات بما نسبته (٣٤٪)، أما الإعاقات الأخرى فتمثل الإعاقة البصرية حوالي ٣٠٪، الإعاقة النطقية ١٢٪ تقريباً، والإعاقة السمعية ١١٪ تقريباً، في حين تمثل الإعاقة الذهنية حوالي ١٠٪، في حين تمثل الإعاقة النفسية الاجتماعية ما يقارب ٣٪، من مجتمع الإعاقة السعودي، مضيفاً أن نسبة الإعاقة عند الأطفال في سن ما قبل المدرسة في المجتمع السعودي حسب الإحصاءات المتاحة تصل نحو ١٠٪ تقريباً، تمثل الأسباب الوراثية العضوية ما نسبته نحو ٧٧٪ وشلل الأطفال ما نسبته نحو ٣، ٠٪ والأمراض العقلية الوظيفية ما نسبته نحو ٣، ٧٪ في حين أن المجتمع يعاني من نسب إعاقة لدى الأطفال في الفئات العمرية من سن الخامسة حتى الخامسة عشرة بما نسبته نحو ٥، ٣٦٪ تمثل حالات الشلل الرباعي والثلاثي والنصفي السفلي والنصفي الشقي ما

نسبته نحو ٦٣, ٩٪ وحالات التشوهات الخلقية وغير الخلقية ما نسبته نحو ٤, ١٧٪^(١).

الإعاقة بالأرقام

* يعاني عشرة في المئة من سكان العالم (قراية ٦٥٠ مليوناً) شكلاً من أشكال الإعاقة.

* يشير البنك الدولي إلى أن ما لا يقل عن ٢٠ في المئة من سكان الأرض الأشد فقراً يعانون شكلاً من أشكال الإعاقة.

* تدل إحصاءات منظمة «يونيسيف» إلى أن نحو ٣٠ في المئة من أطفال ومراهقي الشوارع لديهم إعاقة.

* بحسب إحصاءات «منظمة العمل الدولية»، فإن ٣٨٦ مليون شخص ممن هم في سن العمل مُعَوَّقون، وتصل نسبة البطالة بين المُعَوَّقين إلى ما يزيد على ٨٠ في المئة.

* تفيد أرقام منظمة الـ«يونيسكو» إلى أن ٩٠ في المئة من الأطفال المُعَوَّقين في دول العالم النامية غير ملتحقين بمدارس.

* وقعت ١١٤ دولة على اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق

(١) صحيفة الوطن السعودية، الأحد ٢٥ ربيع الأول ١٤٣٠هـ الموافق ٢٢ مارس ٢٠٠٩م العدد (٣٠٩٦) السنة التاسعة.

الأشخاص المُعَوِّقِينَ بينها ١٠ دول عربية هي مصر وتونس والجزائر والمغرب والأردن ولبنان والسودان وسورية وقطر واليمن.

* في البلدان التي يزيد فيها العمر المتوقع عن ٧٠ سنة، تُنفق ٨ سنوات أو ٥, ١١ في المئة في المتوسط من عمر الفرد في حالة إعاقة.

* ثمانون في المئة من المعوقين يعيشون في البلدان النامية، استناداً إلى برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

* معدلات الإعاقة أعلى بكثير لدى المجموعات التي تنخفض فيها نسبة التحصيل التعليمي في بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، استناداً إلى بيانات هذه المنظمة. والنسبة المتوسطة في بلدان المنظمة هي ١٩ في المئة، بالمقارنة مع ١١ في المئة في أوساط الذين أحرزوا تعليماً أفضل.

* نسبة الوفاة عند الأطفال المعوقين قد تبلغ ٨٠ في المئة في البلدان التي انخفضت فيها نسبة وفاة الأطفال دون سن الخامسة ككل إلى ٢٠ في المئة، وذلك استناداً إلى إدارة التنمية الدولية في المملكة المتحدة، التي تضيف أنه في بعض الحالات يبدو الأمر وكأنه «اجتثاث» للأطفال.

* تبين الدراسات المقارنة في شأن تشريعات الإعاقة أن

٤٥ بلداً فقط لديها قوانين لمكافحة التمييز وغيرها من القوانين الخاصة بالعجز.

* تسعون في المئة من الأطفال المعوقين في البلدان النامية لا يداومون في مدارس، استناداً إلى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة - يونسكو.

* تبلغ نسبة البالغين المعوقين الذين يلغون بالقراءة والكتابة ٣ في المئة، وتبلغ هذه النسبة ١ في المئة بالنسبة للنساء المعوقات، وذلك استناداً إلى دراسة أجراها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي عام ١٩٩٨ م.

* مقابل كل طفل يقتل أثناء الحرب، يُصاب ثلاثة بأذى وعجز دائم.

* استناداً إلى منظمة الصحة العالمية، ربع عدد العاهات في بعض البلدان ناجم عن إصابات مؤذية وعن أعمال عنف.

* تشير البحوث إلى أن أعمال العنف ضد الأطفال المعوقين تقع بمعدلات سنوية تزيد بقرابة ٧, ١ مرة عنها لدى نظرائهم من غير المعوقين^(١).

(١) صحيفة الحياة، الإثنين ١٠ ديسمبر ٢٠٠٧ م الموافق ٣٠ ذو القعدة ١٤٢٨ هـ، العدد ١٦٣٢٠، ص ٣٦.

التعامل مع الإعاقة

ولتجاوز ما يعانیه المعاق من مشاكل ومصاعب، بل ومن أجل تحقيق نجاحات باهرة في حياته... عليه اتباع الخطوات التالية:

١- الرضا بالقضاء والقدر:

على المعاق أن يرضى بقضاء الله وقدره، لأن الله تعالى لا يقضي إلا بالحق، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾^(١)، كما روي عن النبي ﷺ قوله: «قال الله جلّ جلاله: من لم يرض بقضائي، ولم يؤمن بقدري، فليتمس إلهاً غيري»^(٢)، ولا يقدر إلا ما كان صواباً، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٣)، ولا يفعل إلا ما فيه مصلحة وحكمة للإنسان، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «في قضاء الله كل خير للمؤمن»^(٤)، وعن رسول الله ﷺ قال: «عجباً للمؤمن لا يقضي الله عليه قضاء إلا كان خيراً له سره أو ساءه، إن ابتلاه كان كفارة لذنبه، وإن أعطاه وأكرمه كان قد حباه»^(٥).

(١) سورة غافر: الآية ٢٠.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٥٧٩، رقم ١٦٧٨٧.

(٣) سورة القمر، الآية ٤٩.

(٤) ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٥٧٨، رقم ١٦٧٨٠.

(٥) ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٥٧٨، رقم ١٦٧٨١.

فعلى المؤمن المعاق أو المصاب بأمراض مزمنة أن يرضى بقضاء الله وقدره، وأن يحتسب ما أصابه عند الله تعالى، فهذا يجعله مستقر النفس، مطمئن البال. أما إذا كان متبرماً ومتذمراً مما هو فيه من عاهات أو أمراض مزمنة فهذا يدفعه نحو الانحدار الشخصي، والانهيار النفسي، ومضاعفة الآلام والأمراض.

ويحدثنا القرآن الكريم عن قصة نبي الله أيوب، وكيف أنه كلما ابتلاه الله أكثر كلما ازداد شكراً لله تعالى، وكان راضياً بالقضاء والقدر، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٢﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾^(١)، وفي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أن رجلاً سأله عن بلية أيوب لأي علة كانت؟ فأجابه بما ملخصه: إن هذا الابتلاء لم يكن لكفران نعمة، بل على العكس من ذلك، فإنه كان لشكر نعمة حسده عليها إبليس، فقال لربه: يا رب إن أيوب لم يؤد إليك شكر هذه النعمة إلا بما أعطيته من الدنيا، ولو حرمته دنياه ما أدى إليك شكرك، فسلطني على دنياه حتى يتبين الأمر، فسلطه الله عليه ليكون هذا الحادث سندا لكل سالكي طريق الحق.

فانحدر إبليس وأهلك أموال أيوب وأولاده الواحد تلو الآخر، ولكن لم تزد هذه الحوادث أيوب إلا ثباتاً على الإيمان

وخضوعاً لقضاء الله وقدره.

فسأل الشيطان الله سبحانه أن يسلمه على زرعه وغنمه
فسلمه، فأحرق كل زرعه، وأهلك كل غنمه، فلم يزدد أيوب إلا
حمداً وشكراً.

وأخيراً طلب الشيطان من الله أن يسلمه على بدن أيوب
ليكون سبب مرضه، وهكذا كان بحيث لم يكن قادراً على
الحركة من شدة المرض والجراحات، لكن من دون أن يترك
أذنى خلل في عقله وإدراكه^(١).

والخلاصة، فقد كانت النعم تسلب من أيوب الواحدة تلو
الأخرى، ولكن شكره كان يزداد في موازاتها، حتى جاء جمع من
الرهبان لرؤيته وعبادته، فقالوا: قل لنا أي ذنب عظيم قد اقترفت
حتى ابتليت بمثل هذا الابتلاء؟ وهنا بدأت شماتة هذا وذاك، وكان
هذا الأمر شديداً على أيوب، فقال مجيباً: وعزة ربي إني ما أكلت
لقمة من طعام إلا ومعني يتيم أو مسكين يأكل على مائدتي، وما
عرض لي أمران كلاهما فيه طاعة لله إلا أخذت بأشدهما عليّ.

عند ذلك كان أيوب قد اجتاز جميع الامتحانات صابراً
شاكراً متجعلاً: وهو يناجي ربه بلسان مهذب ودعا أن يكشف

(١) انظر نص الحديث في تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٤٨٩، رقم ١٢٧ ورقم

عنه ضره بتعبير صادق ليس فيه أدنى شكوى وفي هذه الأثناء فتحت أبواب الرحمة الإلهية، ورفع البلاء بسرعة، وانهمرت عليه النعم الإلهية أكثر من ذي قبل.

أجل.. إن رجال الحق لا تتغير أفكارهم وأعمالهم بتغير النعم، فهم يتوجهون إلى الله في حريرتهم وسجنهم وسلامتهم ومرضهم وقوتهم وضعفهم، وبكلمة واحدة في كل الأحوال، ولا تغيرهم حوادث الحياة، فإن أرواحهم كالمحيط العظيم لا يؤثر في هدوئه تلاطم الرياح العاتية.

كما أنهم لا ييأسون لهول الحوادث المرة وكثيرها، بل يواجهونها ويصمدون لها حتى تفتح أبواب الرحمة الإلهية، لعلمهم أن الحوادث والظروف الصعبة امتحانات إلهية يعدها الله لخاصة عباده ليكونوا أكثر مراناً ومراساً^(١).

فأرضاً بالقضاء والقدر يبعث في الإنسان السكينة، وتكون نفسه مرتاحة، وقلبه مطمئن بذكر الله تعالى، وكل هذا يدفعه نحو النظر للحياة بروية إيجابية، ويحفزه نحو العمل الصالح.

٢- تنمية المواهب والمهارات:

كل إنسان لديه مواهب ومهارات وقدرات يمكنه أن ينميها، وعلى الإنسان في البداية أن يكتشف مواهبه ومهاراته،

(١) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٠، ص ٢٠٠-٢٠١.

والمعوق هو الآخر يمتلك مواهب وإمكانات لو استطاع أن يوظفها في صقل شخصيته وتنمية مواهبه، وتفجير قدراته... فإنه بذلك يصنع النجاح لنفسه، ويتجاوز ما ألمَّ به من أمراض وعاهات مزمنة.

وعلى الآباء والأمهات اكتشاف ما لدى أولادهم المعوقين من مواهب ومهارات، والعمل على تأهيلهم علمياً وعملياً كي يمكنهم تجاوز ما قد تتركه العاهات والأمراض المزمنة من أثر سلبي على شخصياتهم.

وكم من معاق أو مريض استطاع أن يحقق نجاحات باهرة قد يعجز الإنسان السليم من مجاراته في ذلك؟ ١

٣- القدرة على التميز والإبداع:

كثيرون هم الذين أصيبوا بعاهة أو أكثر، وكثير من هؤلاء استطاعوا أن يحققوا نجاحات باهرة، وإنجازات عظيمة، وعلى كل الأصعدة، وفي جميع المجالات، وذلك لأن العاهات التي أصيبوا بها، فجرت في عقولهم ثورة التفكير، والإبداع، والابتكار، والاختراع. كما قوّت في أنفسهم إرادة التحدي، فواجهوا الحياة بإرادة الإنسان التي لا تتحطم، وهكذا حققوا ما أرادوا.

والأمثلة على ذلك كثيرة، وإليك عينة من هؤلاء النوابغ الذين صنعوا نجاحات باهرة، رغم العاهات التي أصيبوا بها...

ومن هؤلاء:

١- أبو العلاء المعري: فقد بصره في الرابعة من عمره، ومع ذلك استطاع أن يحرز مرتبة عالية في الفلسفة والأدب حتى عُدَّ من أكابر شعراء اللغة العربية.

٢- طه حسين: فقد بصره منذ كان طفلاً، ورغم ذلك استطاع أن يصبح عميد الأدب العربي، وأن يؤسس جامعتين، وأن ينتج الكثير من المؤلفات والمصنفات المتنوعة.

٣- الجاحظ: لقب بالجاحظ لأنه كان مشوه الخلق، جاحظ العينين -أي بارزهما- وكان يقال له الحدقي أيضاً لأنه كان ناتئ الحدقتين. لكن سوء منظره، و ذمامة شكله لم يقعد به عن التقدم العلمي والأدبي، فكتب ما يزيد على الثلاثمائة وستين مؤلفاً في شتى ألوان المعرفة.

٤- أديسون: كان أديسون مصاباً بالصمم منذ مقتبل حياته، لكن ذلك لم يمنعه من أن يكون من أهم المخترعين في العالم، فقد تمكن من اختراع مئات المخترعات الحديثة، وبالخصوص الآلات الكهربائية، ومنها المصباح الكهربائي.

٥- روبرت أولمان: كان مكفوف البصر، ولكنه رغم ذلك برز في ميادين الرياضة والقانون، وزاول لعبة المصارعة، رغم عماه.

فالإعاقة والأمراض يجب أن لا تكون عائقاً للإنسان عن التقدم والتميز؛ بل أن ذلك قد يدفع بالمعاق للشعور بالتحدي، وامتلاك إرادة النجاح، وهو ما قد يمكنه من صنع نجاحات عظيمة، وبذلك يكون إنساناً متميزاً ومبدعاً وعظيماً.

٤- تشجيع المعوقين على العطاء والإنتاج:

للتشجيع أثر فعال في زيادة الإنتاج والعطاء لأي إنسان، والمعوق أكثر حاجة للتشجيع لدفعه نحو العطاء والعمل والفاعلية.

أما الاستهانة بالمعاق، والنظر إليه وكأنه عالة على المجتمع، فهذا يخلق لديه شعوراً بالنقص والدونية، ويقضي على القدرات والموهب التي منحه الله إياه. ولذلك على المجتمع والأهل والأقارب النظر إلى المعاق كإنسان محترم، وتشجيعه على القيام بالعطاء والإنتاج بحسب ظروفه وإمكاناته، وقد يستطيع المعوق أن ينتج ويعطي أفضل من السليم إذا ما وجد التشجيع الكافي، والتحفيز نحو العطاء.

وينقل لنا التاريخ قصة لتشجيع الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه الذي أصيب بمرض في وجهه، «فقد ظهرت بقع بيضاء في وجه (يونس بن عمار) أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وآلمه ذلك، إلا أنه كان يضيق ذرعاً بالكلمات المسمومة

الصادمة من الناس تجاهه، فقد كانوا يقولون له: لو كنت أهلاً لفضل الله وكان الدين الحق بحاجة إليك لما ابتليت بهذا الداء. فتألم يونس من ابتلائه بالمرض، وكذلك من تحقير الناس وإهانتهم إياه تألماً شديداً. وجاء إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال: إن هذا الذي ظهر بوجهي يزعم الناس أن الله لم يتل به عبداً له فيه حاجة، قال: فقال لي: لقد كان مؤمناً من آل فرعون مكنع الأصابع فكان يمد يديه ويقول: يا قوم اتبعوا المرسلين.

في هذا الحديث نجد الإمام الصادق عليه السلام يرد على كلام الناس الركيك بجملة قصيرة، ويفهم يونس بن عمار ضمناً أنه يتمكن - كمؤمن آل فرعون - أن يخدم شريعة الله، وأن يكون داعية خير وصلاح بين الناس على ما هو عليه من النقص... وطبيعي أن يخفف هذا الكلام من ألم الشعور بالحقارة فيه من جهة، ويبعث فيه رجاء خدمة دين الله من جهة أخرى^(١).

فالتشجيع يدفع الإنسان نحو المزيد من العطاء والإنتاج والفاعلية، في حين أن التثييط يحدث عكس ذلك، فعلى المجتمع والأهل أن يشجعوا المعوقين على العمل، ويحفزوهم نحو استثمار ما لديهم من مواهب وقدرات ومهارات، بحيث يمكنهم من خلالها صنع نجاحات كبيرة و متميزة.

(١) الطفل بين الوراثة والتربية، ج ٢، ص ١٦٣.



الفصل الثامن

تفعيل دور الأوقاف

مدخل

تمثل الأوقاف الذرية والعامّة المنتشرة في بلاد المسلمين ثروة مالية ومعنوية هائلة جداً، ولو استثمرت هذه الثروات بالطريقة الصحيحة لساهمت بصورة كبيرة جداً في تنمية الاقتصاد، وتدويل الثروات، وتلبية حاجات الفقراء والمعوزين، وبناء المؤسسات الدينية والثقافية والفكرية والعلمية، وتشديد المراكز والمشاريع الإسلامية.

ولكن مما يؤسف له حقاً هو غياب التخطيط في إدارة الأوقاف، بل والتعدي على بعضها، وتحويلها إلى أملاك شخصية، أو ضمها إلى أملاك الدولة كما حدث في بعض البلدان الإسلامية، أو سوء الاستفادة منها... وغير ذلك كثير.

والمطلوب هو تفعيل دور الأوقاف بحسب من أوقفها، والحفاظ عليها من التعدي والتجاوز، وتجاوز حالة المزاجية في طريقة إدارة الأوقاف، وتحويلها إلى مؤسسة منظمة، و تدار

بالوسائل الحديثة في الإدارة والتخطيط كي يمكن الارتقاء بالأوقاف إلى مستوى الأهداف والأغراض النبيلة التي من أجلها شجع الإسلام على الوقف كعمل خيري مندوب إليه، وفيه الأجر والثواب الجزيل.

ففي الإسلام نوعان من الأحكام المالية:

١- الواجبات المالية: فقد فرض الإسلام على أتباعه مجموعة من الواجبات المالية التي يجب القيام بها كالزكوات والأخماس والكفارات والديات.. وغيرها من التشريعات المالية الواجبة.

٢- المستحبات المالية: وهي تشمل كل المستحبات والمندوبات التي رَغِبَ فيها الشرع المقدس ولم يوجبها كالصدقات المستحبة والأوقاف ومساعدة المحتاجين والمساكين... وكل ما يدخل في منظومة الخير والبر والإحسان.

وتمثل هذه التشريعات والأحكام المالية، الواجبة منها والمستحبة، دوراً حيوياً في تحريك عملية الإنماء الاقتصادي، ودفع العمل الخيري والتطوعي نحو المزيد من الفاعلية والعطاء، بشرط استثمارها في مشاريع منتجة وحيوية، بما يؤدي إلى رفع مستوى التقدم والرفاه والرخاء الاقتصادي والاجتماعي والعلمي.

وتصدر الأوقاف منظومة الأعمال التطوعية والخيرية لأنها تمثل أصولاً مالية ثابتة، إذ أن الوقف في اصطلاح الفقهاء هو: تحبب الأصل، وتسهيل المنفعة، وهذا التعريف مطابق لما ورد عن النبي ﷺ بقوله: «حبس الأصل، وسبل المنفعة»^(١).

فالأوقاف بما أنها لا يجوز بيعها ولا هبتها ولا التعدي عليها تبقى ثابتة، ويستفاد من ريعها، ومن ثم فهي تدر أموالاً بصورة دائمة ومستمرة، وهو الأمر الذي يؤدي إلى نمو السيولة النقدية عند المسلمين، ورفع الكفاءة الاقتصادية، وتطوير الأعمال والمشاريع الدينية والخيرية، إن استثمرت الأوقاف وفق منهج تخطيطي واستثماري متقن ومتطور.

(١) جواهر الكلام، الشيخ محمد حسن النجفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨١م، ج ٢٨، ص ٢.

خطوات لتفعيل الأوقاف

من أجل تفعيل دور الأوقاف في حياتنا المعاصرة، وتنمية الأعيان الوقفية واستثمارها، ينبغي العمل بمجموعة من الخطوات والمرتكزات الرئيسة للأوقاف... ومنها:

١- التجديد الفقهي لسائل الوقف:

لا تنفصل فلسفة تشريع الوقف وحبسه وتأييده وفق الضوابط الشرعية عن فلسفة تنميته وتطويره. فالوقف الذي يستعصي على التنمية لظروف طارئة خاصة، يظل وقفاً ذا فائدة محدودة مرتبطة بزمان أو مكان محددين، بل ربما يتعرض إلى التراجع أو التلاشي، إن لم يكن مشروعاً يمتلك عناصر القوة والاستمرار وظروف التنمية والتحديث، لذلك حفل الفقه الإسلامي بفتاوى الاستبدال، وإحياء الأوقاف، ودمج بعضها ببعض، وتوظيف عائداتها حسب شروط الواقفين. إذن فمعادلة الوقف يساوي التنمية هي معادلة صحيحة ومشروعة، ولا بد

من أن تصبح هذه المقولة منهجاً عملياً، ومخططاً مبرمجاً لفهم فلسفة الوقف وادارته واستثماره.

كما أن إثارة استنباط الموضوعات الفقهية ذات العلاقة بالمسائل الملحة والضرورية لتطوير المؤسسة الوقفية، وجلب أنظار الفقهاء ورجال القانون إلى متطلبات الوقف الحديث والسعي إلى قراءة النصوص الشرعية والقوانين المدنية قراءة موضوعية جديدة من خلال استلهاهم روح الشريعة والعناصر المتجددة في حياة الإنسان، بحيث تتحول ثقافة الوقف إلى ثقافة تنموية حاضرة في وعي المتصددين، تأخذ بنظر الاعتبار حاجة المجتمع ومستجدات العصر^(١).

ومن جانب آخر نجد أن بعض الأوقاف لم يعد لها من مردود مالي في وقتنا الحاضر، أو لم يعد لها من مصداق كي تصرف عوائد الوقف فيه؛ فمثلاً في مصر يوجد وقف لتوفير علف لدابة شيخ الأزهر في ذلك الزمان، ويوجد في القطيف وقف لإزالة العنايص من الطرق وأشباه ذلك من مسائل تحتاج إلى مخارج شرعية واستنباطات فقهية جديدة لحل مثل هذه المسائل الشائكة؛ وهذا ما يتطلب مراعاة شروط الواقفين

(١) آفاق التنمية والتحديث لمؤسسة الوقف الجعفري في الكويت، السيد حسين الشامي، ملتقى الوقف الجعفري الثاني، الكويت ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ص

من جهة والاستفادة من الأوقاف من جهة أخرى.

ولذلك أفتى الفقهاء بجواز استبدال الوقف إذا أصبح خراباً، ولم يكن فيه فائدة تذكر فـ «المشهور عند فقهاء الإمامية جواز بيع الوقف الخاص، سواء كان على أشخاص معينين، كأولاد الواقف، وذريته. أو على عنوان عام، كالعلماء، والفقراء، فيما لو خرب ولم يمكن تعميره وإعادةه إلى الحالة التي كان عليها، على أن يشتري بثمانه ملك، ويوقف على نهج وقفه الأول. وقد نص هؤلاء الفقهاء، على أن البيع، إنما يحوز، فيما لو وُجد أحد مسوغاته وهي:

١- أن يخرب الوقف، بحيث لا يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه، كالحيوان المذبوح، والجذع البالي، والحصير الخلق.

٢- أن يخرب بحيث يسقط عن الانتفاع المعتقد به عرفاً، كدار انهدمت، فصارت عرصة^(١)، تؤجر بأجرة لا تبلغ شيئاً معتداً به، وكانت منفعة ثمنه، على تقدير البيع، أكثر من منفعة العرصة، وأكثر من منفعة الدار أو مساوية لها، بحيث يمكن شراء دار أخرى بذلك الثمن، مساوية للدار المنهدمة.

٣- ما إذا شرط الواقف بيعه عند حدوث أمر، من قلة المنفعة، أو كثرة الخراج، أو كون بيعه أنفع، أو احتياجهم إلى عوضه... إلخ.

(١) العرصة: هي كل بقعة ليس فيها بناء.

٤- ما إذا وقع الاختلاف الشديد بين الموقوف عليهم، بحيث لا يؤمن معه من تلف النفوس والأموال»^(١).

وعليه، إذا لم يكن لوقف ما أي فائدة تذكر، أو أن مردوده المالي لا يغني شيئاً، فمن مصلحة الوقف عندئذ استبدال العين الموقوفة بعقار آخر أنفع وأفود بشرط أن يكون الاستبدال في مصلحة الجهة الموقوفة عليها، وليس بهدف المصلحة الشخصية لمتولي الوقف أو أن يكون الاستبدال هدفاً بذاته مما لا ينسجم مع مقومات الوقف من الدوام والتأييد.

٢- تثقيف المجتمع بأهمية تنمية الوقف:

الأوقاف إنما توقف لأجل الاستفادة من ريعها في خدمة وجوه البر والخير، وبحسب ما أوقفت إليها من جهات الوقف، وعلى المجتمع إدراك هذه الحقيقة كي يساهم في تنمية الوقف وتعظيم منافعه وتحقيق أهدافه.

وللأسف الشديد فقد تحولت بعض الأوقاف من المزارع والبساتين -وهي تشكل النسبة الغالبة من الأوقاف- إلى خراب بعد ما كانت عامرة، ويتحمل ولاية الأوقاف مسؤولية كبيرة في حصول هذا الأمر.

(١) الوقف وأحكامه في الفقه الإسلامي والقوانين اللبنانية، الشيخ محمد جعفر شمس الدين، دار الهادي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

ويتساءل الكثير من أبناء المجتمع عن عوائد الأوقاف وأرباحه، وطريقة صرفها، وانعدام الشفافية المالية فيها، وهي تساؤلات مشروعة، لأن الأوقاف العامة إنما وقفت لخدمة المجتمع، وتنمية روافده الدينية والثقافية والاجتماعية.

لكن المجتمع يتحمل مسؤولية أيضاً في الارتقاء بالأوقاف نحو تحقيق أهدافها وأغراضها التي من أجلها قام الواقفون بوقفها، فالمجتمع عندما يضغط في اتجاه تفعيل دور الأوقاف، ومطالبة ولاية الأوقاف بالإفصاح المالي من إيرادات ومصروفات للأوقاف التي تحت أبدبهم، ومحاسبة المحكمة الشرعية لهم، يترك أثره الواسع في اتجاه تنمية وتفعيل الأوقاف بما فيه مصلحة الوقف وخدمة المجتمع.

فالمجتمع يجب أن يتحول إلى رأي عام ضاغط باتجاه تفعيل وتنمية الأوقاف، والقيام بمبادرات إيجابية من أجل تشجيع متولي الأوقاف على زيادة العطاء والفاعلية في تعظيم عوائد الأوقاف، كما أن تكريم المجتمع وتقديم حوافز تشجيعية للمتميزين منهم يساعد على خلق روح المنافسة والتسابق في فعل الخير، كما قال تعالى: ﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

٣- التشجيع على حبس أوقاف جديدة:

عندما يدرس الباحث الأوقاف التي أوقفت في كل مرحلة تاريخية سيجد أنها تتناسب مع تلك المرحلة الزمنية، وليس بالضرورة أنها تناسب هذه الفترة الزمنية التي نعيشها، كما أن المجتمع بحاجة متجددة إلى أوقاف جديدة تغطي الحاجات الفعلية في عصرنا.

ففي الماضي كانت توجد أوقاف تلبى احتياجات تلك المراحل الزمنية من التاريخ، فكانت توجد «أوقاف خيرية للإنفاق على المرضى ومعالجتهم وإسكانهم وإطعامهم وتنظيفهم وخدمتهم، بل كان يوقف للمرضى مراوح من خوص؛ لأجل استعمالهم إياها في وقت الحر، كما كان يوقف للمريض كسوة للباسه ودراهم لنفقاته، حتى لا يضطر إلى العمل الشاق فور خروجه، وكان في مدينة طرابلس بلبنان وقف غريب خصص ريعه لتوظيف اثنين يمران بالمستشفيات يومياً، فيتحدثان بجانب المريض حديثاً خافئاً؛ ليسمعه المريض بما يوحى إليه بتحسين حاله واحمرار وجهه وبريق عينيه، الأمر الذي يبعث الأمل في نفسه، ويساعد على شفائه.

ومن الأوقاف الخيرية التي أنشأها المسلمون طاعة لله تعالى، بناء الخانات والفنادق للمسافرين المحتاجين ومعها

أثاثها وأدوات الطبخ فيها. ومنها التكايا والزوايا التي يقيم فيها من شاء لعبادة الله عز وجل. ومنها بيوت خاصة للفقراء، يسكنها من لا يجد ما يشتري به أو يستأجر داراً. ومنها سقايات الماء المسبلة للناس في الطرقات العامة. ومنها بيوت للحجاج بمكة يقيمون فيها مجاناً حين قدومهم للحج. ومنها حفر الآبار الخيرية وإنشاء القناطر والجسور والطرقات لعبور المسافرين واستراحتهم وسقايتهم، وكانت كثيرة جداً بين عواصم المدن الإسلامية ومدنها وقرائها، وبخاصة بين بغداد ومكة، وبين دمشق والمدينة، وبين مدن مصر ومدن بلاد المغرب، وكان يوقف معها البساتين والمزارع ليؤكل من ثمرها والأبقار والأغنام ليُشرب من لبنها»^(١).

ومن أطرف ما بذلوه في الوقف الخيري وقف الزُّبَّادي جمع زبدية وهي آنية من خزف أو فخار للأولاد والرفيق الذين تكسر زبدياتهم في السوق وهم في طريقهم إلى البيوت، فيأتون إلى مكان الوقف بالقطع المكسورة، فيُعطون أخرى جديدة، لئلا يعاقبهم أهلهم على ما وقع منهم، ثم يرجعون إلى البيوت بما معهم، وكانهم لم يفعلوا شيئاً.

كما كانت هناك أوقاف خيرية تنفق على أسر السجناء

(١) الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ج ٢٧، ص ١٣١.

وأولادهم، حيث يقدم لهم الغذاء والكساء وما يحتاجونه من أمور أخرى. ومما كان له نصيب كبير في اهتمامات المسلمين الوقفية الحيوانات، فقد وقفوا الأموال لتطبيب المريض منها، ولرعي المسنة العاجزة. وكانت في دمشق أرض يقال لها المرج الأخضر، وقفت للخيول المسنة العاجزة التي يطردها أصحابها، لأنهم ما عادوا ينتفعون بها، فكان هناك موظفون خاصون يأخذونها، فترعى في أرض الوقف حتى تموت.

وكان في أوقاف العديد من المدن الإسلامية أماكن خاصة لرعاية مئات القطط العمياء والجريحة والمكسورة الأذرع، وكان يقدم لها في كل يوم الطعام والعلاج، ويعتنى بها حتى تغدو سمينة فارهة، وبقي هذا في بلاد الشام إلى وقت قريب جداً^(١).

وهناك وقف ضخم في مدينة مشهد حيث مقام الإمام علي ابن موسى الرضا عليه السلام لإطعام القطط الضالة^(٢).

وفي القطيف يوجد وقف على تركيز وبناء العلامات

(١) الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، ج ٢٧، ص ١٣٢.

(٢) الأوقاف وتطوير الاستفادة منها، حسن موسى الصفار، أطراف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، ص

على طول طريق البحر من القطيف إلى جزيرة تاروت كي لا يضل الساري. ووقف آخر يصرف على الحجارة البارزة في الطرق لثلا يعثر بها المسنون والمكفوفون أو من لا يلتفت إليها، وتسمى باللغة الدارجة عندنا بـ(العنايص) جمع عنصوص وهي الحجرة الصغيرة الناتئة في عرض الطريق، وقد كانت كثيرة جداً في كل الطرق^(١).

وذكر لي أحد المشاركين في منتدى قضايا الوقف الفقهية الثالث بالكويت عام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، أنه يوجد في مصر وقف لتوفير علف لدابة شيخ الأزهر التي كان يركبها في ذلك الوقت.

ونظراً لحاجة الفقهاء والعلماء في الماضي لتوفير الورق للكتابة عليها، فقد أوقف الشريف المرتضى (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ) قرية كاملة لتوفير الورق لكتابة الفقهاء والعلماء^(٢).

أما الآن ونحن نعيش في الألفية الثالثة فإن مجتمعاتنا بحاجة ماسة لأوقاف جديدة لدعم المتطلبات الجديدة وتنمية البنية المعرفية والعلمية والثقافية في مجتمعنا.

(١) مجلة الواحة، موضوع الوقف في القطيف وأثره في حياتها، السيد حسن العوامي، العدد التاسع، الربع الأول ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص ١٠٢.

(٢) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ج ١٢، ص ٢٧٣.

فإذا ما أردنا تطوير وتنمية الأوقاف فإن المطلوب من أهل الخير والعطاء حبس أوقاف جديدة ذات أغراض متعددة، بحيث تلبى الاحتياجات الجديدة للمجتمع.

فعلى سبيل المثال: المجتمع بحاجة إلى أوقاف لتأسيس جامعات ومعاهد وكليات علمية، وبناء مستشفيات ومستوصفات خيرية، وتأسيس قنوات فضائية لخدمة الدين، ونشيد مطابع لطباعة الكتب والصحف والمجلات الملتزمة، وبناء مراكز دينية وقرآنية وثقافية وعلمية ومعرفية، ودعم الموهوبين لإكمال دراساتهم العليا في التخصصات المهمة كالطب والاقتصاد والهندسة و....، وبناء مساكن للفقراء والمحتاجين، وتأسيس صناديق خيرية لتوزيع الشباب والفتيات لإكمال نصف دينهم، والقضاء على الفقر والمرض والجهل... وغير ذلك كثير.

إن حبس أوقاف جديدة يجب أن يتجاوز الحالة التقليدية في أهداف وأغراض الأوقاف بحيث تلبى الاحتياجات الجديدة للمجتمع، وعدم الوقوف عند الأغراض والأهداف التي أشبعت وقفاً منذ عهد قديم، فأبواب الخير والبر والإحسان كثيرة ومتعددة، وإذا كان الواقفون في الأزمنة الماضية قد غطوا حاجات زمانهم، فإن المطلوب من الواقفين الجدد أن يلبوا احتياجات أهل زمانهم، وأن يختاروا أهدافاً لأوقافهم تتفق مع متطلبات زمانهم وعصرهم ومجتمعهم.

ومجتمعنا اليوم بحاجة إلى أوقاف استراتيجية قادرة على خدمة التنمية والتطوير والتقدم في مختلف المبادي؛ وهو الأمر الذي قد يعجز عنه طاقة الأفراد مهما أوتوا من ثروة وإمكانيات، ولذلك فإن القيام بحبس أوقاف يشترك في وقفها مجموعة من الواقفين (أوقاف الشركة) لوقف أوقاف كبيرة وعملاقة بحيث تكون قادرة على تلبية متطلبات وحاجات العصر هو الخيار الاستراتيجي في عصرنا.

وقد أشار لذلك الإمام الباقر عليه السلام عندما سئل: «في الرجل يتصدق بالصدقة المشتركة؟ قال: جائز»^(١) مما يدل على جواز الوقف والصدقة في الحصة المشاعة بين مجموعة من الأشخاص، وهذا هو بالضبط ما نحتاجه لإيجاد أوقاف كبيرة وقادرة على تلبية متطلبات الحاجات الجديدة.

٤- إدارة الوقف بالأساليب الحديثة:

إن الاعتماد على أساليب التقنية الحديثة في إدارة الوقف واستعمال النظم الإدارية الجديدة للمؤسسات، والاستناد إلى التخطيط العلمي في رسم الموازنات المالية، وتبويب وتوثيق ممتلكات الأوقاف حسب موضوعاتها وأهدافها، وإيجاد قاعدة

(١) الوسائل، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ١٩، ص ١٩٦، رقم ٢٤٤٢٠.

معلوماتية DATA CASE تتوفر على خرائط الأوقاف ومرسماتها، وتحديد مواقعها حسب الأهمية، وحفظ الحجج الوقفية في متاحف خاصة للرجوع إليها عند الحاجة القانونية^(١).

وتعاني الأوقاف في منطقتنا بالقطيف والأحساء وأماكن أخرى من العالم الإسلامي بسوء الإدارة للأعيان الوقفية، فغالباً ما تكون الإدارة بيد شخص واحد وهو متولي الوقف يتصرف كما يحلو له بعيداً عن أي تخطيط إداري، أو خطة استثمارية للأوقاف التي تحت تصرفه، وتخضع إدارة الأوقاف - غالباً - لمستوى المتولي وثقافته ومدى اهتمامه بتنمية الوقف واستثماره فيما وقّف له.

ومن دون وجود لجنة أو مؤسسة لإدارة الأوقاف الموجودة في كل منطقة، بحسب الأنظمة والأساليب الإدارية الحديثة، ستبقى مشكلة ضياع الأوقاف والتعدي عليها، أو إهمالها وتحولها إلى أوقاف من دون فائدة، هو الشائع في أغلب الأوقاف للأسف الشديد.

فالأوقاف في مجتمعنا تدار بصورة فردية وبعيدة كل البعد عن الإدارة الحديثة القائمة على التخطيط والتقنية، والمراقبة والمحاسبة، والتوثيق والرصد، وهو الأمر الذي أدّى إلى

(١) آفاق التنمية والتحديث لمؤسسة الوقف الجعفري في الكويت، حسين الشامي، ملتقى الوقف الجعفري الثاني بالكويت، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ص ٩.

محدودية ريع الأوقاف، أو في حال وجود عوائد لها لا يعرف أحد من المجتمع كيفية التصرف فيها !

ولا يعني هذا بالضرورة التشكيك في نزاهة متولي الأوقاف أو إخلاصهم، وإنما إدارة الأوقاف بالصورة القديمة والتي تفتقد أبسط مقومات الإدارة يؤدي بالضرورة إلى ضياع الأوقاف أو التعدي عليها أو إهمالها أو تدني عوائدها.

وإذا ما أردنا تفعيل الأوقاف والوصول بها إلى مستوى متقدم من الفاعلية والعطاء لا بد من وضع نظام إداري حديث بحيث يكون قادراً على إدارة الأوقاف وفق الأساليب والتقنيات الإدارية الحديثة.

٥- عمل مسح إحصائي للأوقاف:

تزرع منطقتنا بشروة وقفية هائلة، ولكن المحزن حقاً هو غياب أي مسح إحصائي لكامل الأوقاف، بل وعدم استخراج صكوك شرعية لبعضها مما يؤدي إلى ضياع أو سرقة بعضها أو التعدي على تلك الأوقاف الثمينة.

كما أن عدم وضوح بعض نصوص الحجج الوقفية بحيث أنها كتبت بصيغ مبهمه تحتمل أكثر من تفسير وتأويل قد أدى إلى التصرف في بعض الأوقاف بخلاف ما أوقفه الواقفون لأوقافهم، وهو الأمر الذي قد أدى في بعض الأحيان إلى

التعدي على الأوقاف تحت عناوين التفاسير المختلفة لرغبات الواقفين.

وللحفاظ على الأوقاف من الضياع والتعدي عليها يجب في البدء عمل مسح إحصائي لكل الأوقاف في المنطقة، وتحديد جهات وقفها، وأسماء المتولين والنظار عليها، واستخراج الصكوك الشرعية لها، وبذلك يمكن حفظها من أي تعدٍ أو سرقة أو إهمال لها.

ومجتمعنا فيه الكثير من الأوقاف التي لو استثمرت بصورة صحيحة لأدت إلى خير كثير، ففي دراسة عن الأوقاف في الأحساء، بلغ عدد الأوقاف المسجلة في المحكمة الشيعية بالأحساء بين عامي ١٣٨٨ - ١٤٠٩ هـ، ما مجموعه ٣٦١٩ وقفاً من مزارع وبيوت ودكاكين وأراض على مختلف الأغراض، ووصل عدد الموقوف على أهل البيت فيها ٢٥٦٣ وقفاً، وتساوي نسبة ٧٠٪^(١).

ونسبة أوقاف أهل البيت من مجمل الأوقاف في القطيف لا تقل عن ٧٥٪، وأن الأوقاف تشكل نسبة ٦٠٪ من مجموع النخيل على أقل تقدير، فلا توجد سيحة إلا وأكثر بسايتها وقف. والقطيف تتميز برقعة زراعية كبيرة تضم سبعمائة وثلاثين

(١) مجلة الواحة، موضوع: الوقف في الأحساء معالم وآفاق، محمد علي الحرز، الربع الثاني ٢٠٠٣م، العدد ٢٩، ص ٤١.

ألف نخلة على أدنى إحصاء، منها خمسمائة وعشرة آلاف نخلة منتجة بمعدل ٢٥ كيلو للنخلة الواحدة^(١).

وهذه الأوقاف الكبيرة والمتنوعة يجب الحفاظ عليها من أي تعدي، والعمل بموجب شروط الواقفين، إذ أن نص الحجة الوقفية لأي وقف هو الصيغة المعتمدة في إنفاذ الوقف، حتى قيل: «إن شرط الواقف كنص الشارع».

وأول الخطوات للحفاظ على الأوقاف هو استخراج الصكوك الشرعية لها بعد عمل مسح إحصائي دقيق لها، ومن ثم العمل على تنميتها بما يعظم من ريعها في خدمة جهات الوقف.

٦- الرقابة على المتولين والناظرين:

الرقابة والإشراف على أي عمل أمر ضروري وهام جداً لإتقان العمل، وإدارته وفق المعايير المطلوبة، كما أن الرقابة تؤدي إلى الإبداع في العمل، وإنجاز المهام الموكلة للمسؤول عن أي مشروع.

والرقابة على أولياء الأوقاف ونظائرهم في غاية الأهمية كي يقوموا بما يمليه عليهم مصلحة الوقف، ومنعاً لأي تلاعب أو ضياع لها.

(١) مجلة الواحة، موضوع: الوقف في القطيف وأثره في حياتها، السيد حسن العوامي، العدد التاسع، الربع الأول ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص ١٠٣.

وقد أدّى التساهل مع أولياء الوقف في إدارتهم للأوقاف إلى ضياع بعضها، أو التعدي عليها، أو تحويلها لأملاك شخصية، أو التصرف بها بخلاف شروط الواقفين، لذلك فإن المطلوب اليوم من مؤسسة الوقف أو المحكمة الشرعية المشرفة على الأوقاف سن تشريعات قانونية وإدارية لتعزيز مفهوم الرقابة على المتولين والناظرين للأوقاف، كما أنه من المهم أن يعزز ذلك بمراقبة واهتمام النخب الاجتماعية لسلوك المتولين للأوقاف، كما يمكن لمؤسسات المجتمع المدني، ووسائل الإعلام المختلفة، وعلماء الدين والقانون، والفاعليات الاجتماعية المختلفة أن تلعب دوراً مؤثراً في توجيه ومراقبة متولي الأوقاف بما يمنع من التلاعب فيها أو التعدي عليها.

كما أنه من المهم للغاية مطالبة المتولين والناظرين للأوقاف بتقارير مالية سنوية للمصروفات والإيرادات المتعلقة بالأوقاف التي تحت أيديهم، وتوضيح الإنجازات التي قاموا بها، ووضع تلك الكشوفات المالية تحت مراجعة محاسبية للتدقيق فيها، لكشف أي تلاعب أو تزوير قد يحدث من أي متولٍ للوقف.

٧- تنمية عوائد الأوقاف:

إن تنمية عوائد الأوقاف بحاجة مستمرة للبحث عن أفضل السبل لاستثمار تلك الأوقاف وتنمية ريعها، وتعظيم إنتاجها،

وتقوية روافدها المالية، خصوصاً وأن عصرنا قد شهد قفزات نوعية في المنتجات الاستثمارية والمالية يفوق بكثير ما عرفه الناس في القرون المنصرمة.

فالمتابع لحركة الاستثمار المالي يلحظ بوضوح عمليات التجديد والابتكار في الأوعية والأشكال الاستثمارية المتطورة، وهو الأمر الذي يجب أن ينعكس على استثمار الأوقاف في مجتمعنا بما يؤدي إلى تنمية المجتمع اقتصادياً وتنموياً واجتماعياً وثقافياً... إلخ.

وعندما نلقي نظرة فاحصة على الأوقاف من حولنا في واحتي القطيف والأحساء وغيرهما سنجد أن بعضها للأسف الشديد قد أصبح يباباً، وبعضها الآخر يشكو من إهمال متوليها، وبعضها قد استثمر بمبلغ زهيد جداً بما يضر بمصلحة الوقف.

ثم إن مشكلة التعدي على الأوقاف لا تأتي فقط من التعديات الظاهرة؛ بل تأتي أيضاً من التعديات غير الظاهرة، بيد أن التعديات الظاهرة يحرص متولي الوقف - عادة - على عدم القيام بها حتى لا يتعرض للعزل أو المساءلة القانونية، ولكن المشكلة هي في التعديات القائمة على الأوقاف ولكن بصورة غير مرئية، من قبيل:

أ - عدم الشفافية في التصرفات المالية للأعيان الموقوفة،

أو التلاعب في تقديم فواتير غير صحيحة، وما أشبه ذلك.

ب- تأجير العين الموقوفة بأقل من أجرة المثل.

ج- تأجير العين الموقوفة لفترة طويلة من الزمن كعشرين سنة، وهو الأمر الذي يؤدي إلى ضياع العائد المفترض للوقف من خلال نقصان القيمة الشرائية للنقود مع مرور الزمن في غالب الأحيان.

ولتجاوز ذلك يجب تشكيل لجنة من أهل الاختصاص في مجال الاستثمار والاقتصاد وأهل الخبرة والرأي بالإضافة إلى لجنة شرعية للمواءمة بين الرأي الشرعي بحسب شروط الواقفين وما يتطلبه استثمار بعض الأوقاف من تجاوز الإدارة التقليدية لها.

فالواقف إنما يوقف جزء من ثروته الخاصة، ليخرجها من دائرة المنفعة الشخصية إلى دائرة المنفعة العامة، لتساهم في تنمية المجتمع وتطويره، والدفع به نحو المزيد من التقدم والازدهار؛ وهذا الأمر لن يتحقق إلا بتنمية عوائد الوقف، واختيار أفضل السبل في استثماره وتعظيم عوائده.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً- الكتب:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الأمين، السيد محسن (ت ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م)، أعيان الشيعة، حققه وأخرجه وعلق عليه: السيد حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٣- الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- ٤- الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي، تفسير نور الثقلين، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

- ٥- الرضي، الشريف، نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، شرح الشيخ: محمد عبده، دار البلاغة، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٦- الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.
- ٧- الشامي، حسين، آفاق التنمية والتحديث لمؤسسة الوقف الجعفري في الكويت، ملتقى الوقف الجعفري الثاني، الكويت ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٨- شمس الدين، محمد جعفر، الوقف وأحكامه، دار الهادي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٩- الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة البعثة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ١٠- الصفار، حسن، المؤسسات الأهلية وحماية الأمن الاجتماعي، دار أطراف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ١١- الصفار، حسن، الأوقاف وتطوير الاستفادة منها، دار أطراف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ١٢- فلسفي، محمد تقي، الطفل بين الوراثة والتربية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

- ١٣- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقى، بحار الأنوار، مؤسسة أهل البيت، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ١٤- مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الموسوعة العربية العالمية، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ١٥- النجفي، الشيخ محمد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة السابعة ١٩٨١م.
- ١٦- النوري الطبرسي، ميرزا حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

ثانياً- الصحف والمجلات:

- ١- صحيفة الحياة، الجمعة ٢٨ رمضان ١٤٢٧هـ ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٦م، العدد ١٥٩٠٤، الصفحة الأخيرة. وأيضاً صحيفة الحياة، الأحد ٢٣ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ الموافق ٨ تموز ٢٠٠٧م، العدد ١٦١٦٥. وصحيفة الحياة، الاثنين ١٠ ديسمبر ٢٠٠٧م الموافق ٣٠ ذو القعدة ١٤٢٨هـ، العدد ١٦٣٢٠، ص ٣٦.

- ٢- صحيفة الشرق الأوسط، الأربعاء ٨ شوال ١٤٢٦هـ ٩ نوفمبر ٢٠٠٥م، العدد ٩٨٤٣.
- ٣- صحيفة الوطن السعودية، الأحد ٢٥ ربيع الأول ١٤٣٠هـ الموافق ٢٢ مارس ٢٠٠٩م، العدد (٣٠٩٦) السنة التاسعة.
- ٤- مجلة الواحة، موضوع الوقف في القطيف وأثره في حياتها، السيد حسن العوامي، العدد التاسع، الربع الأول ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م. وأيضاً مجلة الواحة، موضوع: الوقف في الأحساء معالم وآفاق، محمد علي الحرز، الربع الثاني ٢٠٠٣م، العدد ٢٩.

المحتويات

٧	المقدمة.....
١١	الفصل الأول: العمل التطوعي وإنماء المجتمع.....
١٣	سمات المجتمع الفاعل.....
١٤	١- التعاون بين الناس.....
١٥	٢- تنمية العمل التطوعي.....
١٧	٣- المبادرة إلى فعل الخير.....
١٩	٥- تعزيز مؤسسات المجتمع المدني.....
٢١	تعاظم دور المؤسسات التطوعية.....
٢٥	الرعاية النفسية للشريحة الفقيرة.....
٢٩	المعوقون والقدرة على صناعة النجاح.....
٣٣	الإعاقة بالأرقام.....
٣٦	التعامل مع الإعاقة.....
٣٦	١- الرضا بالقضاء والقدر.....
٣٩	٢- تنمية المواهب والمهارات.....

- ٣- القدرة على التميز والإبداع ٤٠
- ٤- تشجيع المعوقين على العطاء والإنتاج ٤٢
- الفصل الثاني: تفعيل دور الأوقاف ٤٥
- مدخل ٤٧
- خطوات لتفعيل الأوقاف ٥١
- ١- التجديد الفقهي لمسائل الوقف ٥١
- ٣- التشجيع على حبس أوقاف جديدة ٥٦
- ٤- إدارة الوقف بالأساليب الحديثة ٦١
- ٥- عمل مسح إحصائي للأوقاف ٦٣
- ٦- الرقابة على المتولين والناظرين ٦٥
- ٧- تنمية عوائد الأوقاف ٦٦
- ثبت المصادر والمراجع ٦٩
- أولاً- الكتب ٦٩
- ثانياً- الصحف والمجلات ٧١
- المحتويات ٧٣

للتواصل مع المؤلف

<p>المملكة العربية السعودية - المنطقة الشرقية ص. ب: ٨٤١ القطيف ٣١٩١١</p>	
<p>٠٠٩٦٦٥٠٣٨٤٤٩٩١</p>	
<p>البريد الإلكتروني: alyousif@alyousif.org alyousif50@gmail.com الموقع على الإنترنت: www.alyousif.org</p>	
<p>صفحة الفيس بوك: http://www.facebook.com/ alyousif.org</p>	
<p>قناة اليوتيوب: http://www.youtube.com/ alyousiforg</p>	